

## أمن اللغة العربية في ظل العولمة

### د. فريدة بلفراق

#### مقدمة

اقتضت حكمة الخالق جلّ وعلا أن يكون البشر أمما شتى وشعوبا مختلفة، فكان لكل أمة سماتها وخصائصها وهويتها الذاتية التي تميزها عن غيرها من الأمم، وكان من أبرز هذه السمات والخصائص لغة الأمة التي تحفظ لها شخصيتها واستقلالها وتربط بين أفرادها وجماعتها، ومن هنا كان حفاظ الأمم على لغتهم حفاظا على كياناتها. فاللغة وسيلة تخاطب الأكثر فعالية في المجتمعات البشرية منها العربية، ونعني هنا اللغة الفصحى التي تستخدمها الدول العربية عبر دساتيرها، أي منصوص عليها في الدستور، بأنها اللغة الرسمية للدولة. غير أنها تصطدم بواقع يصعب فيه تطبيق ما جاء في الدساتير أو أية قوانين تنظيمية، لأن المجتمعات العربية تتميز بلهجاتها المحلية المختلفة والمتنوعة فضلا عن فرض لغة تخاطب تتماشى مع مقتضيات الظرف، خاصة في الوقت الراهن، مما يقف حائلا دون التكلم بالفصحى لأسباب عديدة، مثلما يحصل مع تعدد اللهجات أيضا في بلدان كثيرة. من هنا يمكن طرح الإشكالية التالية: - كيف يمكن الاحتفاظ باللغة العربية الفصحى في ظل غزو العولمة الثقافية على اختلاف مجالاتها؟

- و ماهي أسباب تراجع اللغة العربية رغم كونها لغة رسمية في دساتير بعض الدول العربية؟

#### أولا: اللغة بين الفطرية والتعلم الاجتماعي؛

اللغة والفكر توأمان، فلا فكر بدون لغة ولا لغة دون فكر، لأن اللغة مرتبطة بالحياة ومتولدة عنها، سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة، فاللغة مادة التعبير اللفظي والكتابي، وقد توصل الإنسان إلى اللغة على مقياس من تفكيره وحوادثه بفعل الحاجة ليخضع ما حوله من أجل معاشه، وأعمل الحيلة لتكوين منطقته بين مطالب العيش الجديدة، فأسهم العمل في تمكين الصلات بين أعضاء المجتمع بإكثاره حالات العون المتبادل والتشاط المشترك، وبذلك نشأت اللغة جنباً إلى جنب مع العمل. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستخدم لغة رمزية في التعامل والتعاون مع أبناء مجتمعه، وبواسطتها ينقل خبراته

وترائه العقلي من جيل إلى جيل، ومن هنا جاء تعريف الإنسان بأنه "حيوان ذو لغة رمزية"، وهذه اللغة تعينه على أن يتناول الموجودات بطريقة تختلف عن تناول الحيوان، ذلك أن الحيوان يتناول الأشياء بحواسه، أما الإنسان فإنه يتناولها بلغته وفكره، فضلا عن حواسه، ولذلك فإن تناول الإنسان للأشياء يتصف بالإحاطة والشمول. ٢

واللغة تشكل متميز من أشكال السلوك الإنساني، فلم يعرف في تاريخ الإنسانية مجتمع بشري لم تكن له لغة خاصة تربط أبناء المجتمع، إذ يتبادلون بها المنافع والمضدرات في كل لغة تشير إلى القيم والسلوك والموراث الاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع، كما أنها ترمز إلى الأحداث الاجتماعية والأنشطة المختلفة

التي يمارسها الناس في واقع حياتهم اليومية، ومن هنا كانت اللغة ترجمة حيّة صادقة لشعب ما من الشعوب تكشف عن حياته المادية والمعنوية معا، وهي في الأصل أداة اجتماعية صنعها المجتمع ليرمز بها إلى عناصر معيشتة وطرق سلوكه. ٤ إن اللغة توحد مشاعر الأمة الناطقة بها، وتجعل من المجتمع بنية واحدة تخضع لقوانين مشتركة، إنها الرابطة الحقيقية والوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان، فاللغة دليل على الواقع الاجتماعي، وبالرغم من أن اللغة لا يُعتمد أنها ذات أهمية ضرورية لدراسة العلوم الاجتماعية - على حد رأي أحد الكتاب- فإنها هي التي تحدد كل تفكير في المشكلات الاجتماعية، فالناس لا يعيشون في العالم الموضوعي وحده، أي في عالم الأفعال

بحاجة إلى احصاءات دقيقة ترسم توزيع لهجات كل إقليم على مختلف بقاعه، وتبين نوع الظاهرة اللغوية ومواقع انتشارها. ٩.

### ثانياً: الصراع الدائم بين العربية الفصحى والعامية؛

إن اللغة أمّ التشكير، وما كان للمعرفة أن تأتي إلى حيز الوجود دون اللغة، وهي في الوقت نفسه على صلة وثيقة بالحياة العاطفية للإنسان بأحاسيسه وانفعالاته، فالإنسان لا يستخدم اللغة للتعبير عن شيء معين أو فكرة محددة فحسب، بل يستعملها للتعبير عن نفسه. ١٠.

لذا فمن الواجب ألا نأخذ بعين الاعتبار فقط الصورة التي تصاغ عليها الأفكار، بل من الواجب أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي توحد بين هذه الأفكار وبين حساسية المتكلم، وهذا كلام دقيق في العلاقة بين اللغة والفكر والعواطف والأحاسيس. ١١.

لقد جرى الحديث حول الفصحى والعامية، ومدى استيعاب الفصحى للحضارة المعاصرة، فذكر أحدهم أن اللغة العربية صعبة، بدليل أن المتخصصين فيها يلحون، على حين يذهب الطلاب من عندنا إلى الغرب ولا يقضون إلا بضع سنوات ثم يعودون يتكلموا اللغة الانجليزية من دون أن يلحنوا. ١٢.

ففي العهد الاستعماري ظن البعض خطأً، أن قصة الفصحى ستكون على شاكلة اللاتينية، وأن اللهجات العامية هي التي ستسود ولم يعلموا أن الفصحى هي في جوهرها لغة شعبية وتطورت على أساس أنها لغة الحياة وأن هناك سراً

كل واحدة منها على أنها شكل من أشكال التعبير اللغوي له خصائصه ووظائفه الخاصة. ٧.

ومن هنا يمكن طرح السؤال، إلى أي حد يستطيع الباحث أن يرد لهجة عربية حديثة إلى عناصرها التاريخية؟ ربما خطر مثل هذا السؤال للذين يبحثون في تطور اللهجات العربية الحديثة، ومدى ارتباطها باللهجات أقدم منها كتلك التي تكلم بها العرب في مدهم الأول في شبه الجزيرة العربية، ويمكن الأخذ في الاعتبار مسألتين هما:

١- إن كل لهجة لابد أن تخضع لعمليات خاصة تتعرض فيها لعوامل البيئة حقبة طويلة وتمتص من خلالها عناصر مختلفة وأصولاً متعددة، ولكل لهجة نتكلمها الآن تاريخ بعيد، وهي مزيج متداخل من العناصر التي تواردت عليها مع الجماعات التي وفدت إلى كل قطر، وقد تعرض الوافدون لمخالطة من سبقوهم ومن جاورهم عن طريق الحلف أو الولاء أو المصاهرة أو الغزو أو العمل المشترك، فنتج عن ذلك أن تداخلت عناصر من لهجات متعددة للعرب وغيرهم، وتألفت منها على مر الزمن صورة متطورة مركبة لها طابع خاص، تختلف قليلاً أو كثيراً. ٨.

والتداخل بين اللهجات عملية مستمرة في مراحل التطور اللغوي لأنها تمثل تطور المجتمعات التي لا تتركز إلى ثبات.

٢- ومنها مسألة تتعلق بتخطيط المادة اللغوية، فعلى الرغم من أن اللهجات الحديثة متداولة على ألسنة الناس، لا تزال في معظم الأقطار العربية

الاجتماعية، ولكنهم يقعون تحت رحمة اللغة المعروضة عليهم والتي تُستخدم كوسيلة للتعبير في المجتمع، ومن الوهم أن يُتخيل أن المرء يتكيف مع الوقت دون وسيلة اللغة، وأن هذه اللغة مجرد وسيلة ثانوية للتغلب على المشكلات الخاصة بالاتصال بين البشر في المجتمعات، ففي الواقع أن العالم يعتمد في أسسه على العادات اللغوية للجماعة. ٥.

فاللغة إذن تابعة بنموها للناطقين بها، تكثر ألفاظها أو تقل بنسبة كثرة احتياجاتهم أو قلتها، فإذا حدث عندهم معنى يحدثون له لفظاً يدل عليه، ولا يقول أنهم يفعلون ذلك بتواطئ أو روية أو اختيار، ولا أنهم يضعون له لفظاً من عند أنفسهم، ولكن اللفظ يتولد تدريجياً أو بغتة تبعاً لمناهة على أساليب لا ضابط لها. ٦.

وعليه يمكن القول أن الفعل اللساني اللغوي فطري في أصله وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوجود الاجتماعي الذي ينشئ ويُطور الملكات اللغوية لدى الإنسان عن طريق الاكتساب اللساني والتعلم التعبيري في أي مجتمع كان، لأن الإنسان له قابلية فطرية لتعلم لغات متعددة.

لذلك نجد أن تعليم اللغات من أهم المجالات التي ظهر فيها أثر الدراسات اللغوية الحديثة وخاصة في تعليم اللغات لغير الناطقين بها، فكان لعلم اللغة الحديث الفضل في رد الاعتبار للغة المنطوقة، وقد كان القدماء من علماء اللغة ينظرون إلى الكلام على أنه مسخ وتشويه للغة الفصحى التي حظيت بالاحترام، ولذلك نراهم لا يهتمون بدراسة لغة الكلام، أما المحدثون فلهم فكر آخر، حيث لا يميزون لغة على لغة، وإنما ينظرون إلى

لغويا لا بد من استشفافه والذي جعل هذه اللغة لا يكون مصيرها مصير اللاتينية، ولن يُكتب للهجات العامية العربية أن تكون مكتوبة. ١٢

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم عقيدة للناس أجمعين، جاء به كتابا عربيا مبينا، وقد أكد القرآن عربيته في ثمان سور تأكيدا لا للعرب وحدهم ولكن للبشرية كلها على اختلاف أزمانها وأقطارها، فكانه يوحى بوحداية الله من جانب ووحدة البشرية على اختلاف ألسنتها وألوانها وحضارتها من جانب آخر. وفي هذا نوع من الإعجاز يوحى بالتسليم به وإكباره وتدبر أبعاد خطره الجليل. ١٤

مصداقا لقوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون". ١٥

إذن المشكل اللغوي يدور حول الصراع بين الفصحى والعامية، لا من حيث الألفاظ والمعاني فقط، بل هو أساسا في ما يجعل لغة ما، حيّة تتناغم مع الحياة وتعيش نبضات الإنسان في سعاده وشقائه وفي جهله ومعرفته، وفي توفقه للأفضل أو انغماسه في دركات الانحلال والضياع، هو هذا النفس الذي يعطي للعامية حرارة الحياة أو هوشب في كثير من الأحيان على الفصحى، فينثر عليها برودة الأموات. ١٦ حينما تتبعثر ألسنة الناس بفعل فواعل أو قد يكون ذلك مسابرة للواقع المفروض، بحكم الاحتكاك المتنوع أو بتدخل عوامل خارجية لتشتيت اللسان، مما يؤدي إلى التعامل بلغة التداول الاجتماعي الدخيلة طوعا أو المدخلة، والتي تصبح مع مرور الوقت جزء لا يتجزأ من حياة المجتمع. لقد اقتضت خطة المستشرقين

فضلا عن إفسادهم للعقلية الإسلامية والفكر العربي بصفة عامة أن يفسدوا الشباب، وتلك كارثة متشعبة الآثار، إذ قال المستشرق شاتلي chatly، في كتابه " غزو العالم الإسلامي": إذا أردتم أن تغزوا الإسلام وتُخسّدوا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة والتي كانت السبب الأول والرئيس لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا هدمكم إلى نفوس الشباب المسلمين والأمة المسلمة بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وكتابهم وتحويلهم عن ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، وتوفير عوامل الهدم المعنوي. ١٧

وسعى الغرب منذ تاريخ طويل نحو طمس معالم الكيان العربي من الوجود، بحيث عمل على سحقه سحقا، حتى لا تقوم له قائمة ويتحقق ذلك في وهم اليهود والأوروبيين والأمريكيين، بإلغاء الأبجدية العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية التي يُترجم إليها القرآن والعقيدة، وكل ما يُخرجه العقل العربي. ١٨

### ثالثا: تأثير العولمة على اللغة في المجالات الحيوية:

إن أول العولمات وأقدمها في تاريخ الحضارات هي اللغة، لكونها نقطة النهاية في طبيعة الحياة الإنسانية القائمة على صراع الأفكار والمصالح وسيادة (الأنا) على حساب الآخرين، فتصادم الحضارات أو حوار الحضارات عبر التاريخ، لم يكن دائما بدوافع اقتصادية أو دينية أو قومية، إنما كانت اللغة بوصفها كالدين روح الأمة الناطقة بها، وهويتها ومكمن تاريخها

وحضارتها وثقافتها وأفكارها وقيمتها أساسا حاسما في الصراع أو الحوار بين البشر، والانتصار في صراع اللغات إنما يمثل بداية التاريخ الغالب وانجاز الرحلة الحضارية كلها وتمكين فرض نفسه سيدا في العالم، وعلى الجميع الاعتراف به بتفوقه واكتماله ونهاية لتاريخ المغلوب وجودا وهوية وثقافة وحضارة وقيما ومعتقدا. ١٩

فعولمة اللغة إذن عملية تاريخية جارية ومستمرة منذ أن امتلك الإنسان لغة ووطنًا وتاريخًا يختلف بها عن غيره ممن امتلكوا اللغة والوطن والتاريخ، لأن هذا الواقع الحتمي موكل أمره بإرادة الله تعالى. ٢٠ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. ٢١

إن عولمة اللغة هي الجانب المهم من عولمة الثقافة التي يحدث فيها الصراع اليوم، وهي باختصار تدعو إلى بناء ثقافة كونية ذات عناصر عالمية مشتركة تتضمن نسقا معينا من القيم والمعايير التي يراد فرضها على شعوب العالم، مما قد يؤثر سلبا على الخصوصية الثقافية لهذه الشعوب. ٢٢

ولا يخفى أن أبرز مظاهر الخصوصية الثقافية والحضارية والدينية لأية أمة هي لغتها. فعولمة لغة أجنبية على حساب اللغة العربية الأم، من أخطر العولمات فتكا واستلابا للثقافة العربية والهوية الحضارية والمستقبل العربي، لأن هذه العولمة ستؤدي إلى قطع صلة أبناء الأمة بكل شيء يمتلكونه من الإرث الحضاري والثقافي. ٢٣

وذلك ما حصل لمعظم البلدان العربية التي تغلغت في طياتها تيارات الغرب

الدولية ومثال ذلك الاتجاه المتحرك نحو إلغاء اللغة العربية من الأمم المتحدة لعدة أسباب منها:

أ- عدم استعمال المندوبين العرب للغةهم.

ب- عدم وجود مترجمين عرب أكفاء من العربية إلى لغات أخرى والعكس.

ج- عدم وفاء أكثر الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في هذا المحفل العالمي الكبير.

د- إلغاء أكثر الجامعات الأمريكية تدريس اللغة العربية الفصحى، مستعيضة عنها باللهجات العربية، وذلك بتشجيع الطلبة العرب على تسجيل رسائلهم العليا بهذه اللهجات من أجل توسيع دوائر الفرقة بين أبناء اللغة الواحدة وابعادهم عن لغتهم الأم.

هـ- ضغوطات الدول الكبرى على اليونسكو لجعلها تعلن مؤخراً أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة أمور هي:

١- الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم.

٢- الحق في لغة التواصل في المجتمع، أياً كانت لهجة أو عامية.

٣- الحق في لغة المعرفة. ٢٨.

بمعنى أن لغة الأم هي الدارجة، وهي العامية و هي اللهجات المتنوعة، ولغة المعرفة يقصد بها اللغة الانجليزية والفرنسية على وجه الخصوص.

ز- تعرض العربية إلى حركة تعجيم من خلال الوافدين غير العرب، وخاصة في منطقة الخليج العربي، وبدل أن تعمل الحكومات الخليجية على تقريب الملايين من هؤلاء الأعاجم المقيمين والعاملين على أراضيها راح هؤلاء يهجنون ( ويعجمون ) اللغة العربية.

لاسيما الشباب في الجامعات تأثراً بسفّه إيمانهم بلغتهم ويعدمهم عنها، تمهيدا للعبث بأفكارهم وتحميل لغتهم كل تبعات الواقع المتردي الذي تعيشه أمتهم في عالم التقنيات والابتكارات والاتصالات وعلوم الفضاء والقوة العسكرية. ٢٥

٢- إقتاع الأجيال العربية أن في لغتهم الكثير من التعقيد، وفي استعمالها تخلفاً، وأن في استعمال غيرها من اللغات تحضراً وتقدماً،

٣- التسليم بأن اللغة العربية لا يمكن لها أن تواكب مسيرة العصر المتسارعة علوماً وتقنيات، وليس لها من مكان في هذا العالم، إذ الصدارة للغة الانجليزية. ٢٦.

٤- نشر اللغة الانجليزية على نطاق واسع في البلدان العربية، مما أدى إلى نجاح المناوئين للعربية في جعل التعليم العالي في الكليات الطبية والعلوم والمعرفة في العالم العربي كله تقريباً باللغة الانجليزية في دول المشرق والخليج العربي وبالفرنسية في دول المغرب العربي، ٢٧ بل هناك حركة نشطة لتعليم الأطفال العرب اللغة الأجنبية في المواد الدراسية المقررة في الابتدائية وما بعدها، وسيؤدي ذلك حتماً بالأجيال القادمة إلى التنصل من انتمائهم للغتهم، ناهيك عن فقدان صلتهم بالهوية الحضارية التي تمثلها اللغة والدين.

هذا على المستوى الداخلي للبلدان العربية، أما على الصعيد الدولي، فهناك مساعي خفية أو قد تكون مُعلنة في بعض الأحيان لإقصاء اللغة العربية من المحافل

المتعاقبة عليها سواء في الماضي بالاحتلال العسكري والتبشيري، أو في الحاضر بالاحتلال الاقتصادي والثقافي وبشئ أنواع التبعية، والغرض دائماً هو طمس معالم تاريخ الأمة الاسلامية العربية.

إن جهود كبيرة تُبذل اليوم من أجل نشر لغة معينة على حساب لغات أخرى، كما هو الحال في اللغة الفرنسية والانجليزية خاصة، التي يُراد لها أن تكون لغة عالمية بلا منازع وأداة الهيمنة الاقتصادية والعسكرية والاعلامية الأمريكية خصوصاً والأوروبية الناطقة بالإنجليزية عموماً، على أن يتضاعف انتشار هذه اللغة على أكبر مساحة من العالم، ويعمل الانترنت على توسيع نطاقها من خلال استعمال كلمات وعبارات انجليزية كثيرة دون غيرها تفرض وجودها على كل اللغات الأخرى، معبرة عن ثقافة وقيم استهلاكية لا تتناسب مع قيم الأمم العريقة كالعرب والصين والكوريين والألمان والفرنسيين والروس وغيرهم. ٢٤

ويبدو ذلك جلياً من خلال التعاملات الدولية المختلفة المتعلقة بالمجالات العلمية والاعلامية والاقتصادية التجارية والاستثمارية، فضلاً عن الانتشار الواسع للفرن المنطوق باللغة الانجليزية في ربوع وأقطار العالم وخاصة في البلدان العربية، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على هيمنة الغزو الثقافي على هذه المجتمعات.

لقد تعرضت اللغة العربية إلى الهجر والتمهيش من ذويها، نظراً لعدة عوامل أو انعكاسات كانت نتيجة للجهل باللغة ولغفلة الأمة العربية عن مصيرها التاريخي والثقافي تحت تأثيرات عديدة منها:

١- التأثير على أفكار الأجيال العربية،

اللغة الانجليزية ساحة المعركة والتنافس لإثبات الذات اللغوية.

وقد اتجهت حينذاك أنظار الشباب من سورية ولبنان والجزائر إلى فرنسا للتخصص والدراسة والسياحة، وكذلك الأمر في البلاد التي احتلتها بريطانيا ٢٥٠ وتعتبر المياهاة باستعمال اللغة الأجنبية وخاصة اللغة الفرنسية في بلدان المغرب وعلى وجه الخصوص الجزائر في فترة من الفترات معضلة كبيرة لم تجد الأمة منها مخرجا إلى حد الآن.

كما كان بمثابة الداء الذي أصيب به بعض الأسر والشباب في محادثاتهم باللغة الأجنبية والتفصيح بها، بحجة أن اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن احتياجاتهم النفسية، وأن اللغة الأجنبية وسيلة للتظاهر بالتحضر، فليقف منهم آخرون بعض المفردات الأجنبية ما تلبث هذه المفردات أن تسير بين الناس، وكثير من هؤلاء المتباهين لا يحسنون من الحضارة سوى تلك الكلمات البتلة والهجينة في بعض الأحيان، كقول بعضهم مثلا، " سأعمل لك فيزيت غدا" وهكذا نرى أن التعريب الحديث بدأ محدودا وضمن أطر معينة، ثم انفرج على مصراعيه بشكل يستحيل اليوم على إيقافه أو الحد منه. ٢٦ وتتضح خطورة وضع لغة الأمة العربية من خلال الغزو الشامل لما تتعرض له في شتى المجالات، منها التربية والتعليم ومجال الاعلام والاقتصاد.

#### ١- تأثر اللغة في مجال التربية والتعليم:

يتمثل الخطر المحدق بالعربية في هذا الحيز، بأننا لا نستخدم التقنيات المعاصرة

والفنية وافتقارها أيضا إلى المصطلحات الدقيقة. ٣١. إلا أن هذا الواقع ليس سببه اللغة العربية ولكن يعود بالدرجة الأولى إلى المتكلمين بها.

ولا سيما من العلماء الذين كفوا عن الابتكار والتفكير العلمي المبدع، وقنعوا في كثير من الحالات والتخصصات بالتقليد والنقل للفكر الغربي. ٣٢

ومن ثم نقل الوسائل اللغوية المعبرة عنها واستخدام مصطلحاتها الفنية، وهناك أسباب أخرى أدت إلى ضعف اللغة العربية ونعني بها النصحى منها:

- ما قام به الأتراك بعدما قاموا بتتريك الدواوين والجيش والتعليم.  
- وقوع الدول العربية تحت الاستعمار.  
- تأثر أبناء العربية باللغات الأجنبية.  
- ضعف الملكة التعبيرية لدى كثير من الباحثين والدارسين.

- تعدد الترجمات واختلاف المصطلحات والرموز العلمية من قطر إلى آخر. ٣٣  
فلم تكف الدول الغربية بالتجارة ولا التبشير، بل رأت في استعمار الدول وسيلة نافعة لها في الهيمنة على مقدرات الشعوب والسيطرة عليها، و كان من نتاج هذا الاستعمار أن امتصت الدول المستعمرة مصادر الخير العربية ونفثت سمومها في مصائر الشعب العربي وفرضت ثقافتها ولغاتها عليهم. ٣٤

وخير مثال نجده في بلاد المغرب العربي، إذ صارت ثقافة المجتمع مرتبطة كثيرا بالثقافة الفرنسية، وكانت فئات كبيرة تكتب وتتحدث بلغة فولتير أفضل من لغتها وخاصة في فترة ما بعد الاستقلال وإلى اليوم ولكن بوتيرة أقل، نظرا لدخول

ط- وقد بلغ الأمر بأحد علماء اللغة الأجانب المعاصرين " ديفيد كريستول David Crystol"، أن يضع في كتاب له تسعة شروط لموت اللغة the death of language، كلها تطبق على العربية في وضعها الراهن، ومن أبرزها السماح بإنشاء لغات أجنبية في البلاد العربية على حساب اللغة المحلية من غير ضوابط وقيود. ٢٩

ي- مع أن الازدواج اللغوي بين اللغة الأم ولهجات محلية أخرى قائم في أكثر من بلد وليس في الأوطان العربية وحدها، فهناك ازدواجية لغوية في الانجليزية بينها وبين لهجات متعددة في كل من ويلز، واسكتلندا، وايرلندا، ولهجات الانجليزية خارج بريطانيا، كاللهجات الكندية والأمريكية والاسرائيلية و النيوزيلاندية وجنوب إفريقيا، فعلى الرغم من هذا الازدواج اللغوي الكائن بصير الأوروبيون على أنه ليس بإمكان حلول لهجة من هذه اللهجات محل الانجليزية. ٣٠

فالملاحظ أن هناك مساعي مقصودة للعمل على توسيع ونشر اللهجات وجعلها تأخذ مكان اللغة الفصحى في البلدان العربية، للوصول إلى لغائها أو انقراضها حسب اعتقاد البعض، مثلما حدث للغة اللاتينية في أوروبا.

#### رابعاً: أسباب تخلف اللغة العربية عن مواكبة العصر

يرى البعض أن اللغة العربية عاجزة في الوقت الحاضر عن استيعاب علوم العصر، ولا تفي بأغراض تدريس هذه العلوم، لافتقارها إلى المصادر العلمية

الدولية، لأنهم حريصون على تواجد لغتهم في إعلامهم، بل العمل على تعميق مسار الاغتراب اللغوي للمتلقين، وهذا ما تسعى إليه أمريكا التي كان يبلغ انتاجها السينمائي في التسعينيات ٦٠٪ من الانتاج العالمي، وقفز في الألفية إلى ٨٠٪:٤٢

وفي المقابل نجد المتلقين العرب على وجه الخصوص لا يبذلون جهداً لحماية لغتهم والحفاظ عليها في هذا الفضاء الواسع والخطير المليء بالصراع والتنافس الشديد من أجل الهيمنة وبلوغ هدف التفوق الثقافي، فضلا عن التفوق العلمي والتكنولوجي والعسكري والاقتصادي لأننا في زمن صراع الحضارات.

وللتصدي للغزو الإعلامي الأمريكي، فإن أحد القوانين المعمول بها في الاتحاد الأوروبي والذي دخل حيز النفاذ سنة ١٩٩٩ يفرض على القنوات التلفزيونية الأوروبية، أن تكون أغلبية البرامج التي تبثها ٦٠٪ من انتاج أوروبي، وفي فرنسا تقوم الدولة باتخاذ الإجراءات الكفيلة لحماية اللغة الفرنسية من التأثير الأمريكي، منها اصدار قانون يُلزم البث الفضائي بالأزيد نسبة البرامج الأجنبية عن ٢٠٪ من اجمالي البث. ٤٤

عل حين نجد عدم الاكترات بحفظ اللسان العربي في وسائل الإعلام، إذ كثيرا ما يستعمل الإعلاميون عندنا وخاصة في الإعلام المرئي، اللغة العامية في خطاباتهم من منشطين ومديعين في مختلف الحصص الترفيهية وتبادل الآراء، ويتعجب أكثر الناس من طغيان العامية في مثل هذه الحصص، والسبب في ذلك أن المنطوق المتبادل بين اثنين على الأقل يقتضي اللجوء إلى جانب من الاستعمال

لم تستغل هذين المنبعين بعقلانية في تكريس اللغة بحرص واهتمام، رغم ما يصدر من توصيات عبر المؤتمرات لوزارتي التربية والتعليم العالي، لأنها تبقى كلها دون جدوى، ودون فعالية لعدم تنفيذها في الواقع.

## ٢- خطر الاعلام الغربي على اللغة العربية :

إن معضلة الإعلام في علاقته بالعربية تكمن في الأوضاع السيئة التي آل إليها جراء تأثيرات ثقافة دول المركز (الأوروبية والأمريكية) على اللغة القومية لشعوب هذه الدول التي أدت بالمذيعين ومقدمي البرامج، إلى استخدام الجمل المختلطة مثل، بونسوار bonsoir وبونجور bonjour، وبروغرام programme.. الخ. ٤٠

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن ٢، ٥٨٪ من المواد المبتوثة في لبنان مثلا، هي أجنبية وأنها تُعرض دون ترجمة، وليست لبنان وحدها بل بلاد العرب كلها من شرقها إلى غربها فقدت لسانها وتبنت لسان الأجنبي، وخاصة لغة مستعمرها سابقا ولاحقا في حياتها الإعلامية، ٤١ و الأخطر من ذلك في ما يتم من مسخ اللغة عندما يصبح توظيف الحروف اللاتينية في كتابة العربية وهو مساس بهوية اللغة وكرامتها مثال: ما نجده من عبارة " إن شاء الله <sup>تعالى</sup> تكتب inshallah، وشكرا جزيلا shukran jazilen، ٤٢ وغيرها من العبارات التي تُكتب عبر الرسائل الهاتفية أو على مواقع التواصل الاجتماعي.

فالعرب يتلقون في أغلب الأحيان الأخبار الدولية من القنوات الغربية بسبب هيمنة الغرب على وكالات الأنباء

في تعليم اللغة العربية، لا سيما في الحلقات الأولى من تعليم النشئ، فإذا قارنا بين تعلم لغتنا واللغة الانجليزية، نجد فجوة واسعة تعود إلى أن الطفل العربي مثلا تشده الانجليزية ( في الخليج) بمغترها اللغوي، وأشرطتها المسجلة والمصورة ويلوحاتها التوضيحية الملونة، وتفريه ألعاب الفيديو والحاسوب التي يمارسها بصورة سائغة ومُسلية، بينما نجده عازفا عن لغته الأم التي تنتمت إلى هذه التفتيات. ٢٧

كما أن عدم اهتمام العربي بتعليم العربية الكترونيا عبر مواقع التواصل(الانترنت) أمر يجعل العربية تتخلف عن أحدث وسائل تعليم اللغات اليوم، أما عن الخطورة التي تترتب باللغة العربية في المنظومة التعليمية، فتتمثل في منافسة اللغات الأجنبية لها من خلال فتح المدارس الأجنبية في كثير من البلدان العربية ومدى إقبال الأولياء على تسجيل أبنائهم فيها، وكذا عزوف الطلبة عن الالتحاق بكليات اللغة العربية إلا إذا سيقوا إليها كرها. ٢٨

وبالتالي تجاوز اكتساح اللغات الأجنبية الحدود، وأصبح يشكل تهديدا حقيقيا على اللغة العربية الرسمية والمنصوص عليها في الدساتير.

إذن هناك منبعان أساسيان يؤثران في استعمال الناس للغة أيما تأثير، وهما عاملان قويان جدا في انتشار ألفاظ الحضارة الحديثة والمصطلحات العلمية والتقنية، بل ولا مفر أبدا من هذا التأثير ولا مرد له، فهما المدرسة وامتداداتها من جهة، ووسائل الاعلام على اختلاف أنواعها من جهة أخرى. ٢٩

والملاحظ أن حكومات الدول العربية

وتحدثنا، وكأنها مؤسسات أجنبية فرنسية أو انجليزية. ٥١

فالبليدان العربية لا تبذل اليوم جهدا يُذكر لإرغام الوافد الأجنبي على التعامل بالعربية، و أصبحت علاقته فاترة بلغته، مما أثر عليها من كل الجوانب فوقعت تحت الهيمنة والتهميش والمساومات.

قال أحد الاقتصاديين "فرانسوا شيزي": أن منظمة التجارة العالمية قد مُنحت منذ سنة ١٩٩٥، سلطات واسعة، ووُضعت خارج أي مراقبة تُذكر من لدن الديمقراطيات البرلمانية، ولمجرد الاحتكام إليها، فبإمكانها اعتبار التشريعات الوطنية في ما يتعلق بقانون الشغل أو البيئة أو الصحة العمومية أو غير ذلك، بما في ذلك المتعلقة باللغة معارضة ومتناقضة لحرية التجارة من الواجب إلغاؤها. ٥٢

وهكذا وقعت البلدان العربية في أحبولة التخلي شيئاً فشيئاً عن اللغة العربية والابتعاد عن تكريسها في الواقع الاقتصادي والتجاري، مدعمة فكرة عدم صلاحية اللغة العربية في العلاقات الاقتصادية والعلمية الدولية، بل سربت أفكار حول عدم امكانية ايجاد نهج اقتصادي إسلامي عربي، لأن لغتها عاجزة عن مواكبة التقدم، وهذا خطأ جسيم وقعت فيه البلدان العربية منذ فترة طويلة.

### خاتمة

إن اللغة العربية مرت بأزمات في المجتمعات العربية الناطقة بها، لكونها في موضع منافسة في الأوساط الاجتماعية المختلفة الجنسيات، و لدخولها بحكم الدين الإسلامي إلى أقطار ذات الأصول

أدوات الانتاج"، وعن علاقتها بالمعاملات التجارية أيضا عبر المستشار الألماني الأسبق " ويلي براندت" wily brandt " بقوله: " إذا أردت أن أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك، وإذا أردت أن تبيعني بضاعتك عليك أن تتحدث بالألمانية". ٤٩. فهذه البلدان احترمت لغاتها وكرستها في ميدان التطور بكل المجالات واثقة أن قوتها مستمدة من انتمائها الحضاري واللغوي.

أما آل عكاظ والمربد، فالمسألة لا تزعجهم على حد تعبير أحد الكتاب، إذ المهم عندهم أن يمتلئ الجيب والبطن، أما اللسان فهو آخر شيء يتصل بتلك المسألة. ٥٠ والدليل على ذلك ما تقوم به الشركات المتعددة الجنسيات أو أي مؤسسات أخرى، إذ من الشروط الأساسية للعمل فيها أو التعامل معها إتقان اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية منها.

ولا ينبغي إيقاع اللوم في ذلك سوى على المسؤولين العرب، الذين أسهموا كثيرا في الانحطاط الذي تشهده الأمة في كل القطاعات، عند تخليهم عن مسؤوليات التطلع إلى الدخول في معترك الميادين الاقتصادية من أجل أخذ مكانة مشرفة في العالم، بل اكتفوا بتثبيت تواجدهم في الحكم أو بعضهم ممن اكتفى بشراء حصص في نوادي كرة القدم وغيرها من الأندية، والكل ينعم بأموال شعوبهم التي ترقد في البنوك السويسرية بصفة خاصة والبنوك الغربية على وجه العموم.

ومن المؤسف أيضا أن تعمق المأساة اللغوية من طرف الدول العربية حين تشترط مؤسساتها على المتقدمين بطلبات الوظائف، اجادة اللغات الأجنبية كتابة

اللغوي يتصف بالخفة والاقتصاد، أي بشيء من العفوية ولا سبيل إلى العثور على ذلك في العربية التي يتعلمها الناس في المدرسة. ٤٥

ولكن الكثير من الناس يجهلون أن للعربية الفصحى مستوى عفويا مثل جميع اللغات الحيّة، وأن العرب السليقين كانوا يتخاطبون في حاجاتهم اليومية مثل ما يتخاطب الفرنسيون والإنجليز أي بلفظ سهل لا تكلف في تأديته. ٤٦

والسبب الآخر أيضا أن اللغة العربية صارت تُكتسب بالتلقين، والتلقين من عادته أن يُهمل الخفيف من الأداء، لأن صاحبه يريد أن تُعطى لعناصر اللغة حقها، أي تحقق مخارج الحروف وأن تبين حركات الاعراب التي سقطت من العامية، فابتعدت الفصحى في مستواها التخاطبي عن الأداء العفوي، بينما حافظت العامية عل الخفة لأنها لغة تخاطب فقط. ٤٧

### (٣) - عولة اللغة الاقتصادية :

قديمًا كانت الأسواق عند العرب مجالًا لممارسة اللغة والأدب إلى جانب البيع والشراء، مما كان يؤكد الصلة الوثيقة بين النشاط الاقتصادي واللغة، والذي كانت نتائجه في الثقافة اللغوية العربية أن تعددت الأسماء الدالة على المال، كالتلاد والركاز والضمار والطّارف... الخ، بل لم يُنشر الإسلام وبذلك اللغة العربية إلا عن طريق التجار في ممارستهم لنشاطاتهم الاقتصادية. ٤٨

فالحياة الاقتصادية لا يمكن أن تتم دون تعامل لغوي بين المتعاملين سواء أكانوا أفراد أو مجتمعات، أو دول، وقد عبّر عن ذلك " ستالين" بقوله: " اللغة أداة من

وأصبحت تلك المصطلحات متداولة بشكل واسع بين فئات المجتمع وخاصة الشباب منهم.

- ترسيم اللغة الفصحى في دساتير الدول العربية لا يعدو أن يكون التزام أدبي نحو الانتماء الحضاري من جهة، ومخرج لتوحيد الشتات اللساني الموجود لتفادي التنازع والصراع حول تفضيل لهجات محلية عن أخرى من أجل الاستقرار الاجتماعي من جهة ثانية.

أفراد المجتمع نتيجة لتعدد اللهجات واختلافها من جهة إلى أخرى، فضلا عن انتشار اللغة الأجنبية (فرنسية أو انجليزية).

- نجد أن التلميذ أثناء مراحل دراسته الأولى يصعب عليه التمييز بين اللغة أو اللهجة التي يستخدمها.

- تجرّد اللغة العربية من معالمها الأصلية، وذلك لما أحدثته العولمة الثقافية من خلال الثورات الإعلامية التي أنشأت مصطلحات جديدة في قواميس اللهجات،

اللغوية المختلفة، وعلى الرغم من اختيار وتبني الشعوب العربية للغة الفصحى كلغة وطنية إلا أن ذلك لم يظهر بالشكل اللازم في الواقع نظرا للازدواجيات اللغوية المنتشرة بين الناس والتي هي حقيقة قد طغت على كل القوانين .

و من خلال ذلك نستنتج مايلي: - اللغة الفطرية أو ما يسمى بلغة الأم هي المسيطرة على الواقع الاجتماعي، إذ يبقى استعمال الفصحى في نطاق ضيق.

- صعوبة تداول اللغة العربية بين

## الهوامش:

- ١ - أحمد شامية، خصائص العربية والاعجاز القرآني في نظرية عبد القادر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص ٠٧.
- ٢ - جرجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، دار الحداثة، طبعة أولى، ١٩٨٠، ص ٥.
- ٣ - عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣.
- ٤ - المرجع نفسه.
- ٥ - عاطف مدكور، المرجع السابق، ص ٤.
- ٦ - جرجي زيدان، المرجع السابق، ص ١٩.
- ٧ - عاطف مدكور، مرجع سابق، ص ٧٢.
- ٨ - عبد المجيد عابدين، من أصول اللهجات العربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص ٥.
- ٩ - عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص ٦.
- ١٠ - عودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى ( مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلوها، دار البداية، طبعة أولى، ٢٠١٠، ص ١٥٣.
- ١١ - مرجع نفسه، ص ١٧٦.
- ١٢ - مرجع نفسه.
- ١٣ - البشير بن سلامة، نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ص ١٠.
- ١٤ - محمد عبد الواحد حجازي، التأمر على اللغة العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، طبعة أولى، ٢٠٠٨، ص ٥٤-٥٦.
- ١٥ - سورة يوسف، آية ٢.
- ١٦ - البشير بن سلامة، مرجع سابق، ص ١٠.
- ١٧ - محمد عبد الواحد حجازي، المرجع السابق، ص ٤٧.
- ١٨ - المرجع نفسه، ص ١٥٣.
- ١٩ - هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ٢٠١٠، ص ٧.
- ٢٠ - مرجع نفسه، ص ٧.
- ٢١ - سورة هود، آية ١١٨.
- ٢٢ - هادي نهر، مرجع نفسه، ص ١٤.

- ٢٣ - مرجع نفسه، ص ١٤.
- ٢٤ - هادي نهر، مرجع سابق، ص ١٦.
- ٢٥ - هادي نهر، مرجع سابق، ص ٢٢.
- ٢٦ - مرجع نفسه، ص ٢٢.
- ٢٧ - مرجع نفسه.
- ٢٨ - هادي نهر، مرجع سابق، ص ٢٣.
- ٢٩ - هادي نهر، مرجع سابق، ص ٢٤.
- ٣٠ - مرجع نفسه، ص ٢٤.
- ٣١ - نادبة رمضان النجار، اللغة العربية ومواكبة روح العصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، طبعة أولى، ٢٠٠٨، ص ٥.
- ٣٢ - نادبة رمضان النجار، مرجع سابق، ص ٦.
- ٣٣ - مرجع نفسه، ص ٧.
- ٣٤ - محمد التونجي، المغرب والدخيل في اللغة العربية وأدائها، دار المعرفة، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٥، ص ١٣٣.
- ٣٥ - محمد التونجي، مرجع سابق، ص ١٣٣.
- ٣٦ - مرجع نفسه، ص ١٣٥.
- ٣٧ - سعيد عامر، اللغة العربية في خطر: قراءة في أضرار العولمة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزوزو، ٢٠١٣، ص ٢٣.
- ٣٨ - مرجع نفسه، ص ٢٣.
- ٣٩ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موقم للنشر، جزء ثان، ٢٠٠٧، ص ٩٨.
- ٤٠ - سعيد عامر، مرجع سابق، ص ٣١.
- ٤١ - مرجع نفسه، ص ٣١.
- ٤٢ - مرجع نفسه، ص ٣٤.
- ٤٣ - مرجع نفسه، ص ٣٢.
- ٤٤ - سعيد عامر، مرجع سابق، ص ٣٢.
- ٤٥ - عبد الرحمن الحاج صالح، مرجع سابق، ص ١٠٣.
- ٤٦ - مرجع نفسه، ص ١٠٤.
- ٤٧ - عبد الرحمن الحاج صالح، مرجع سابق، ص ١٠٤.
- ٤٨ - سعيد عامر، مرجع سابق، ص ٢٧.
- ٤٩ - سعيد عامر، مرجع سابق، ص ٢٧.
- ٥٠ - مرجع نفسه، ص ٢٨.
- ٥١ - سعيد عامر، مرجع سابق، ص ٢٨ بتصرف.
- ٥٢ - مرجع نفسه، ص ٢٩.